سَيْفي أنيسي وَرُمْحي، كُلّما نَهِمتُ
أُسْدُ الدِّحالِ إلَيْها، مالَ جانبُهُ[١]
وَكَمْ غَديرٍ مَزَجْتُ الماءَ فيهِ دماً
عندَ الصّباحِ وَرَاحَ الوَحشُ طالبُهُ![٢]
يا طامعاً في هَلاكي عُدْ بلا طَمَعٍ،
وَلَا تَرِدْ كأسَ حَتفٍ أنتَ شارِبُهُ[٣]

لي النفوس

قال يتوعد النعمان بن المنذر ملك العرب ويفتخر بقومه:

[البسيط]

لا يحملُ الحِقدَ مَن تَعلو بهِ الرُّتَبُ،
وَلا ينالُ العُلا مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ[٤]

= ونجومه راحت تختبئ وتتهاوى وراء شمس تشق ظلمته وتغزو أفقه.

(١) نهمت: شرهت إلى الأكل. الدحال، واحدها دَحْل: النقب مجال ضيّق بين الجبال يتّسع عند أسفله فيسهل السير فيه. في ذلك المكان الموحش المرعب يصاحب الشاعر سلاحه؛ فرمحه أنيسه ورمحه رفيقه، في ذلك الليل أسد الدحال تخرج من مكانها تبحث عن ضحيّة تُشبع بها نهمها، فبدل أن تصطاد يصطادها الشاعر فيُكثر فيها تقتيلاً ويُمعن فيها جراحاً.

(٢) ولطالما عرّج الشاعر على غدران اهتدى إليها وعرفت خطاه حيث قام بغسل سلاحه، أو اغتسل، فاختلط بدماء قتلاه فإذا بتلك الوحوش راحت تطلب سبب حياتها في تلك الغُدران.

(٣) ينصح الشاعر من تُراوده نفسه على الاقتراب منه والعمل على الفتك به بالابتعاد عنه لئلّا يقع هو فريسة حتف يشربه على يدي عنترة.

(٤) يبدأ الشاعر قصيدته بمطلع حكميّ، يصوغه من معدن الفروسية العربية الحقّة؛ =

وَمَـنْ يـكـنْ عَـبـدَ قَـوْمٍ لا يـخـالـفُـهُـمْ
إذاً جَـفَـوْهُ، وَيَـسْـتَـرْضـي إذا عَـتَـبـوا[١]
قـد كـنـتُ فـيـمـا مـضـى أرْعـى جـمـالـهـمُ،
وَالـيـوْمَ أحـمـي حِـمـاهُـمْ كـلّـمـا نُـكِـبـوا[٢]
لـلَّـهِ دَرُّ بَـنـي عَـبْـسٍ لَـقَـدْ نَـسَـلُـوا،
مـنَ الأكـارِمِ، مـا قـد تَـنـسُـلُ الـعـرَبُ[٣]
لَـئـنْ يـعـيـبـوا سَـوَادي فَـهـوَ لـي نـسَـبٌ،
يـوْمَ الـنِّـزَالِ، إذا مـا فَـاتـنـي الـنـسَـبُ[٤]
إن كُـنـتَ تَـعـلـمُ يـا نـعـمـانُ أنّ يَـدي
قـصـيـرَةٌ عَـنْـكَ، فـالأيّـامُ تَـنـقـلـبُ[٥]

= مفاده أن العظماء النبلاء لا يعرفون الحقد، وهو ليس من طباعهم، أما الضّعاف فهم سريعو الغضب؛ والغضب دلالة عن ضعف ملكاتهم وسوء طباعهم.

(١) جفا: أبعد. من طبيعة الطاعة العمياء؛ فهو لا يحقّ له الاعتراض أو المخالفة، حتى ولو عملوا على إبعاده عنهم، ومن طبعه الذي ربّي عليه استرضاؤهم بكلّ الوسائل، إذا لم يُرضهم بفعله.

(٢) شتان بين حالين مرّ بهما الشاعر؛ ففي الماضي كان يقوم بدور العبد فيرعى جمال القوم صابراً، ولكن الظروف تبدّلت، فها هو ذا يعمل على الدفاع عنهم كلّما تعرّضوا لنكبة أو نزلت بهم نازلة.

(٣) نسلوا: ولدوا. يفخر الشاعر بقومه؛ فبنو عبس ولدوا بطلاً لا كالأبطال، كريم النسب، عالي الهمّة، تسمو نفسه إلى المعالي، وذلك نادر في قبائل العرب.

(٤) يتولّى الشاعر الدفاع عن شِقّه الأسود، وهو يفخر بسواد لونه حيث ينقلب أبيض بحسن فِعاله في ساحة المعركة؛ فهذا يكفيه نسباً ويملأه اعتزازاً وفخراً.

(٥) يخاطب الشاعر النعمان بن المنذر ملك الحيرة أن ظنَّه ليس بمحلّه، فليست يد عنترة قصيرة، والأيام دوالٍ لا تستقرّ على قرار، وقد يقلب الدهر للملك ظهر المِجنّ.

أَلْيَوْمَ تَعْلَمُ، يا نعمانُ، أيّ فتًى
يَلْقَى أخاك الذي قد غرّه العُصَبُ[١]
إنّ الأفاعي وَإنْ لانَتْ مَلامِسُها،
عندَ التّقَلُّبِ، في أنيابها، العَطَبُ[٢]
فَتًى يخوضُ غِمارَ الحَرْبِ مُبتسماً،
وَيَنْثَني، وَسِنانُ الرّمْحِ مختَضِبُ[٣]
إنْ سَلّ صَارِمَهُ سَالَتْ مَضَارِبُهُ
وَأشرَقَ الجوُّ وَانشقّتْ له الحُجُبُ[٤]
وَالخَيْلُ تَشْهدُ لي أني أُكَفْكِفُها،
وَالطّعنُ مثلُ شَرَارِ النّارِ يلتهبُ[٥]
إذا التقَيْتُ الأعادي، يوْمَ مَعرَكَةٍ،
تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ المغرُورَ يُنتَهَبُ[٦]

---

(١) العُصب، اسم جمعي: الجماعات. إنه يوم الامتحان الحقيقي، وفي وسط الميدان ستنكشف الحقائق وسترى فتًى شجاعاً مقاتلاً سيودي بأخيك إلى حتفه ولئن تحميه جموعه التي جمعها لتكون وقوداً لبني عبس.

(٢) في هذا البيت حكمة، مفادها أن بعض المظاهر لا تُنبئ بحقائق الأمور؛ فالأفاعي ليّنة المخبر، ولكن حقيقة أنيابها قاتلة، وكذلك عنترة فمظهره لا يدلّ على حقيقة حاله.

(٣) عنترة فتى تتمثل فيه الفتوّة بأجلى مظاهرها؛ فهو يخوض غِمار الحرب لا يُفكّر بالموت والبسمة تعلو ثغره، وإذا ما رجع من المعركة، كان رمحه لا يعرف لونه الحقيقي لكثرة ما أراق من دماء أعدائه.

(٤) تبدو صورة البطولة مكتملة بأجلى صورها عندما يجرّد عنترة سيفه ويهوي به على الأعداء، ويعود وقد تكلّل بدماء أعدائه، باسم الوجه مفتخراً بإنجاز ما عزم على فعله.

(٥)، (٦) أكفكفها: أردها. يصف الشاعر المعركة التي تدور رحاها ويذكر =

لـيَ الـنّـفُـوسُ، وَلـلـطّـيـرِ الـلّـحُـومُ، ولـلْـ
ـوَحْـشِ الـعـظـامُ، وَلـلـخَـيّـالَـةِ الـسَّـلَـبُ[١]
لا أبـعَـدَ الـلَّـهُ عـن عَـيـنـي غَـطَـارِفَـةً،
إنـسـاً إذا نـزَلـوا، جِـنّـاً إذا رَكِـبُـوا[٢]
أُسُـودُ غـابٍ وَلـكِـنْ لا نُـيُـوبَ لـهُـمْ
إلا الأسِـنّـةُ وَالـهِـنْـدِيّـةُ الـقُـضُـبُ[٣]
تَـعـدو بـهـمْ أعـوَجـيّـاتٌ مُـضَـمَّـرَةٌ،
مـثـلُ الـسّـرَاحِـيـنِ فـي أعْـنـاقِـهـا الـقَـبَـبُ[٤]

= أفعاله؛ فأفعاله تشهد لها الخيل التي تفرّقت وارتدّت على أعقابها وقد رمت فرسانها أرضاً وقد جندلهم الشاعر صرعى على التراب يتعفّرون به، وقد غرّهم كثرتهم، فإذا بهم يقعون نهب ضربات عنترة ولم تمنعهم جموعهم.

(١) إنها قسمة عادلة؛ فللشاعر النفوس يقضي عليها، واللحوم للطيور الكاسرة، وللوحوش العظام، والسلب لرفاق عنترة الذين يقتصر دورهم على ذلك.

(٢) الغطارفة، مفردهم غِطريف: الشريف السخيّ. يتمنّى الشاعر على اللّه أن يبقي بني قومه الشرفاء الكرماء إلى جانبه؛ فالمرء يقوى بإخوانه، وهم بشر تتمثل بهم الإنسانية بأحلى صورها إذا رجعوا من الحرب، وهم جنّ إذا كانوا في المعركة.

(٣) القضب، واحدها قضيب: السيوف: البتّارة. يمدح الشاعر بني عبس فهم أسود بأفعالهم، وليست تتمثّل بهم مظاهر الحيوانية، ولقد استعاضوا عن الأنياب بالرماح والسيوف القاطعة البتّارة.

(٤) الأعوجيات: أجياد تنسب إلى أعوج وهو فرس سبّاق. السراحين، واحدها سِرحان: الذئاب. القبب من اللحم: أصعبها وأعظمها. إن فرسان بني عبس يمتطون خيولاً سبّاقة مضمّرة لكثرة استعمالها في الحروب تنقضّ إلى المعركة بسرعة خاطفة كأنها الذئاب تُحسن المناورة، وهي تأتي من كلّ مكان وقد لُجمت بقوّة ممّا يدلّ على حذق فرسانها بقيادتها.

مـا زِلْـتُ أَلْـقـى صُـدورَ الـخـيَـلِ مُـنـدفـقـاً
بـالـطـعـن حـتـى يَـضِـجَّ الـسـرْجُ وَالـلَّـبَـبُ[١]
فـالـعُـمـيُ لَـوْ كـانَ فـي أجـفـانـهـمْ نـظـرُوا،
وَالـخُـرْس لـوْ كـان فـي أفـوَاهـهـم خـطـبـوا[٢]
وَالـنَّـقـعُ يـوْمَ طِـرَاد الـخـيـلِ يَـشْـهَـدُ لـي
وَالـضـرْبُ وَالـطـعـنُ وَالأقـلامُ وَالـكـتـبُ[٣]

للحلم وللجهل أوقات

يتهدد عمارة والربيع، ابني زياد العبسيين، معرضاً بذكر قومهما:

[الطويل]

لـغَـيـرِ الـعُـلا مِـنـي الـقِـلـى وَالـتّـجَـنُّـبُ،
وَلـوْلا الـعـلا مـا كـنـتُ فـي الـعـيش أرْغـبُ[٤]

(١) اللبب: ما يشدّ على صدر الدابة. يصف الشاعر فعله في المعركة؛ فصدور الخيل تتدافع إليه، فكلّ الفرسان تودّ مطاعنته، وهو يردّهم على أعقابهم هلكى وصرعى حتى لا يحتمل السرج واللبب كثرة فعاله بالأعداء.

(٢) تُلهم أعمال الشاعر من عِميَ أن يرى حقيقة فيرجع إليه بصره ومن صُمَّ أن يتفوّه واصفاً شجاعته وحسن بلائه وقد عادت إليه قوّة النطق؛ وتلك من معجزات عنترة غير المألوفة.

(٣) النقع: الغبار المثار في وسط المعركة. وهو لا يكتفي بذكر الخيل تشهد؛ فها هوذا يجعل الغبار المتصاعد الذي يُغطي جوّ المعركة يشهد له ويُثني على بطولته حتى الضرب والطعن من علائم البطولة تشهد له كذلك وسوف تذكر الأقلام والكتب فضائله وإنجازاته الحربية.

(٤) القِلى: البغض. يبدأ الشاعر قصيدته بمطلع وجدانيّ: فهو يسعى دائماً =